

باب التريية

بعض عوامل الضعف في تكوين الفرد
للدكتور محمد بهي الدين يركت بك

تريية ولنة الاطفال

لوكي المهندسي
استاذ التريية بدار العلوم





بعضهم نحوائل الضمير

في تكريم الفرد

وطرق علاجها في الاسرة والمدرسة

لبري البري بركان بك وزير المعارف السابق

جاءتنا هذه الخطبة الشريفة صاحب السادة يحيى الدين بركانة بك
وزير المعارف السابق وكان معظم ملازم المتخلف قد طبع ، فضا
ما استوت عليه من القوائد ان تنشر الى الشهر القادم فنشرناها في هذا
ايات لان الزوالين والجليل انجز الناس باليهاب سانية والعمل بها

سادتي : بينما كنت اطالع منذ أيام إحدى المجلات الزراعية استرعى نظري ما قرأته تحير ذراعة
القصبة من قوله ان القلاح المصري وصل في بعض الشؤون الزراعية بفضل مشاوبه وارتقابه لوراثة
درجة من الاتقان لم يصل اليها العلم الحديث فالتجربة علمت من طرق الزراعة ما يأتي بأحسن الثمرات
قد يدهش المرء لتلك العبارة ولكنه اذا فكر ان الحاجة تقتض الحياة وان الضرورة أم الاختراع
عرف كيف تستطيع الجهود المتجمعة ان تصل الى ما لا يستطيع العلماء أنفسهم
هذه شهادة العلماء عن نتيجة ما وصلنا اليه بفضل عنايتنا وبرايتنا فقول نحن وصلنا الى
بعض تلك النتيجة فيما يتعلق بتربية أبنائنا وبناتنا ؟
بالأسف كلا !

اغش أي مجلس من مجالس الفلاحين نجدهم يبحثون في آوان الزراعة الملائم لنجاحها وفي طرق
ريها وأساليب معالجتها وأحسن الوسائل لا كثار الانتاج وطرق مكافحة الآفات الزراعية وغير ذلك .
واغش بعد ذلك مجالس القاهرة نجدهم يتناقشون في السياسة وفي الدرجات وفي أسباب تفصيل زيد
على بكر وغير ذلك من المسائل التي تشغل الرأي العام . ولكنك يندر أن تجد مجلساً يتناقش في
طريقة معاملة الأطفال وفي أحسن السبل لتربيتهم وتقويم الموعج فيهم وكثيراً ما تسمع الناس
ينسبون العيب الى المدرسة والتقصير الى الحكومة ويندر أن نجد من يذكر أن الاسرة هي المدرسة
الاولى للطفل وان للطفل ذاكرة كالمرأة ينعكس فيها كل ما يراه وينطبع أثره في نفسه ويبلغ نتيجة
في أخلاقه وتكوينه اذا ما بلغ شاباً ثم رجلاً

فهل فكرنا نحن في تربية أولادنا ان نخرجهم عن ارتكاب النقائص أمامهم وأن يكون الأبوان
نموذجاً حسناً لهم ؟ أظن لا

ولعل جبهة الآباء والأمهات عندنا لا يشعرون بأن عليهم واجباً لأولادهم ولا بأن الأمثلة
السبئية التي يراها الطفل متلازمة حتماً مدى الحياة

السارى كثيراً من الآباء والأمهات يلقنون أولادهم الكذب ويخبرون فيهم روح الغيرة والحسد بما يقصون أمامهم من الأحاديث ويلقونهم من الأوامر ؟
فكم من الآباء والأمهات يتنبهون إلى أن كثيراً من القصص العائلية والملاحظات الفردية لا يصح ذكرها أمام أبنائهم وبناتهم حتى لا يفتقدوا روح العطف نحو أهلهم وحتى ينشأوا طاهرين مما يتنقل ماضي أهلهم فيدلوا حياة أسعد من حياتهم ويسلوا روح من الحجة بعيدة عن البغضاء والشقاء وعن الأثرة والأفانية

هل فكر أحد منا في ذلك وعمل عليه في تربية أبنائه ؟ أو لسانا في كثير من الأحيان نستحث أولادنا وبناتنا إلى العمل من طريق بث روح الغيرة والحسد نحو الآخرين ؟ بل من طريق بذور بذور عدم الثقة والكراهية بين الآخرة . فكم من والد يقول لولده (أنا أحبك أكثر من أخيك — أخوك بطل — كل هذه القطعة ولا تخبر أخاك عنها أو أخفيها منه) وغير ذلك مما يعود الطفل منذ نعومة أظفاره الأثرة والأفانية ويفرس في نفسه الغيرة والحسد حتى من أخوته

كذلك كان من نتائج عدم تمكيننا في طرق معالجة أطفالنا أنه بينما يفكر كل منا في رفاة أولاده المادية إذا به يهمل الجهة المعنوية أهملاً تاماً . فلقد كنا في ماضٍ ليس ببعيد نسمع أن الولد لا يصح له أن يجالس أباه وإن الزوجة لا تأكل مع زوجها وإن الطاعة واجبة على كل منهما نحو رب البيت وما دوى هؤلاء أنهم كانوا بذلك يفرسون روح القتل والاستبداد في أبنائهم وبناتهم ويعطلون فيهم جميع الصفات الضرورية لجسمهم أفراداً أحراراً في مجتمع يحسبهم ويعملون على رفاهية حقاً لقد تغيرت تلك الحالة الآن ولكن تغيرها كان في الشكل أما في الجوهر فلا يزال كثير من الآباء والأمهات يتصورون أن الطفل يجب أن يربى على الأدب والطاعة فلا أدب في عرفهم ، أن يجلس الطفل جلسة مخصوصة ، وإن لا يتحرك في محله وإذا ضرب فلا يبكي

وأما الطاعة فهي أن يتلقى الأوامر فيخضع لها مهما كانت وما دروا أن الطفل يحتاج دائماً إلى الحركة وإن السكون في الطفولة الأولى علامة المرض والخمول وإن من يضرب ولا يبكي فاعما ينشأ ذليلاً حقيراً ، وإن من يحرم حق التفكير لا يمكن أن يكون حراً ، وإن النظام والطاعة فيولتظنوع والمخنوع ، وإن الوالد لو فكر في حق ابنه عليه لما جعل لتفوقه المادي على ذلك الطفل ولا لتفوقه الوفتية التي تأخذ باللائمة إذا ما اعترض الولد على أمر من أوامره ، أي أثر فيه ، في تربية ولده ولكن للأسف نجد الحالة الفكرية في أذهان الناس على الضد من ذلك

فهم يطلبون من الولد أن يكون أداة طبيعية لهم من غير أن يفكروا فيما لتلك الحالة من الآثار المبيقة في تكوين الطفل وما لها من نتائج بعيدة المدى

إذا أن من يرى على الطوع لا يكون عاجزاً فقط بل يتقلب طائفة مستبداً إذا ما وني الأمر بدوره وأني لا أزال أذكر أني في المناسب التي شفعتها كنت أحتج أني كثير من التشجيع حتى يستطيع غائب المرطفين الذين كانوا تحت رأسي أن يدوا رأيهم بحرية لأنه الطبع في اذهان كثير من رؤسائهم أن الاحترام معناه أن يفنى المرؤس في الرئيس وأن الشخص الذي يعارض رأيك لا يمكن أن يكون محلاً لرضائك وأن طاعة الرئيس معناها شل كل رأي يخالف رأيه . فلمعري كيف يمكن انتعاش والحالة النفسية على ما قدمنا بل كيف يرق مجتمع تلك حالة افراده

ولا أزال أذكر كذلك أني عندما كنت وزيراً للمعارف لاحظت عدم وجود أداة اتصال بين رجال التعليم لبحثوا نظم التربية والتعليم ويعملوا على ترقيةها واصلاح ما فيها من العيوب فتكرت في أثناء مجلة لتكون أداة لتلك الأبحاث وفعلت دعوت بعض رجال المعارف لمباحثتهم في الأمر فسألني احدهم وهل يكون تلك المجلة حق نقد النظم الحاضرة فقلت له نعم لأن سبيل التقدم والرقى هو معرفة عيوب الحاضر ولا يمكن أن نصل الى ذلك بغير النقد وما دامت الأبحاث محصورة في الحدود العلمية والفنية من غير أن تتعدى الى الاشخاص او السياسة او الدين فجعلنا حراً للباحثين . فاجابني وقد شعر بغربة وقع سؤاله من نفسي بأنه إنما أراد الاستفسار لأن التكررة عرضت في عهد احد الوزراء الذين تولوا امر الوزارة قبلي بوضع سنين فاعترض عليها ذلك الوزير وقال كيف يسمح لرجال التعليم ومهنتهم الدفاع عن الوزارة ونظمها بنقد نظم التعليم

أيها السادة : ارجو أن لا يدهشكم هذا القول فقد كان الوزير الذي اشير اليه معروفاً بين الناس بالحكمة وحسن التدبير وهو ممن تركوا في نفوس الكثيرين أرواً طيباً ولكن الامور اشتبهت علينا وتزينة الاسرة فينا اضللتنا السبيل حتى صرنا لا نحس بأثار تلك التربية وما تركته فينا من الطوع والرضى بالاستبداد فالله يس علينا الامر وصرنا نرى حسناً ما ليس بالحسن

ونعت نتيجة اخرى من نتائج تلك الحالة في الاسرة وهي ان ما يسمى اطفالنا من احاديث ابيهم وأهلبيهم ومن عرض الخلافات الصغيرة والحقيقة امامهم ساعدنا على ان نفهم في نفوسهم روح الغيرة الخيئة والمقصد مما يضعف فيهم روح التعاون والعمل المشترك . ذلك أنه انطبع في الازدهان من أثر الحياة المثلية وما رآه فيها من شحنا وبغضاء ، والتعلق بكثير من سقاسف الامور ، والميل الى المناظرة الوضيعة ، واثارة الحقد الدفين في النفوس ، مما جعل الناس ينتقدون بعضهم بعضاً بسبب ومن غير سبب . ومما جعل الكثيرين يظنون أنهم لا يستطيعون ان يجمعوا لانفسهم مكانة او احتراماً الا اذا اضعفوا من قيمة غيرهم وشوهوا اعمالهم . فكم سمعنا عن المديرين في الاقاليم والرؤساء في المصالح والوزراء في الدواوين أنهم يجمعون همهم تشويه ما عمله اسلافهم حتى يكون لهم وحدهم التفخر . وكم سمعنا عن خيبة دبت بين جماعات انشئت لتعمل متحدة . ذلك لأن الاشخاص ربوا على

المقطعة والتخذ فلا يتهمون روح التعاون . ولست أود أن أذكر أمثلة ما نراه في مصر فليس من موضوعي القليلة أن أمرض للعبادة العامة ولكني أذكر في كنت في تركيا عام ١٩٢٩ وذهبت لمشاهدة مباراة كرة القدم بين الفريق التركي والفريق المصري ولقد كان أفراد الفريق المصري متفوقين على زملائهم الأتراك ولكن للأسف كان الكثيرون منهم إذا امسك بالكرة حاول أن يصل بها إلى الهدف لينال هو غفر الانتصار وحده . أما الفريق التركي فكان الواحد منهم يأخذ الكرة فإذا أحس بأن مجرمًا يدبر ضده مردها إلى زميل له وهكذا حتى انتهى الأمر بانتصار الفريق التركي على المصري ونالت تركيا غفر الانتصار مع أن أفرادها كانوا أقل كفاءة من أفراد الفريق المصري ولكنهم عرفوا سر النجاح في الحياة خفي علينا ألا وهو أن التعاون يزيد القوى قوة ويخلق سبباً جديداً للنصر ثم فائدته الأفراد .

فالطفل عندما متروك لمحض الصدقة فهو أشبه نبات الغابة وأحواشها ينمو فوضى لا نظام لها ويقتل قوتها ضعيفا ويتغلب خبيثها على طيبها . ولو شئنا له نجاحاً وللإنسانية فلاحاً لتعهدناه كما يتعهد البساتين أو الأشجار للشجرة التي تحث طيبا الأرض وتنميتها بالقي ونظيرها من الحشرات والنباتات الطيبة ونعمل على تلقيحها بأحسن الثمار وأجود الأصناف . ولا شك أن هذا عمل شاق يحتاج إلى النشروالتماية والمثل الصالح وبالجملة أن ربنا فلاحاً وجب أن نغني بحالة أولادنا الفكرية والمعنوية كما نغني بحالتهم المادية والصحية

لقد شعر كثير من الناس بنتائج تلك الحالة السيئة فأرادوا معالجتها من طريق معاملة أولادهم معاملة طيبة وغرس روح الاستقلال فيهم ولكن تغلبت فيهم روح الزهو فنشروا إلى أولادهم لا نظرة الأمين على فائدة كبد بل نظرة المفاخر بمجال ولده . ولذلك اسرفوا في طريقة لباسهم . فكف من الاطفال عندنا يلبسون الحرير والملايس الثمينة بينما زوة الوالدين لا تسمح بشيء من ذلك . وكف من الامهات يباهين بأن ابنهن يلبس احسن من لبس ابن فلان الثري وكف منهن بلعهن الزهو أن لا يشتري ملايس الأولاد إلا من أوروبا غير عابثات بالأثر السيء الذي ينطبع في ذهن الطفل فيركز اهتمامه في تلك الناحية حتى إذا ما شب وجد والده غير قادرين على أن يحفظاه من التعميم ما عوداه في نشأته الأولى فيقع الخلاف في الأسرة وينفخ الولد في طلباته وهكذا تكون الأسرة ضعيفة صراع داخلي وفريسة تبذير ينتهي بحزنها

ومن الأسف أن هذا الضعف قد ينشأ بطرق شتى خصوصاً في تربية البنات فإن كثيراً من السيدات يضمن مسألة الزوي في المرتبة الأولى من تكريمهن ولا يحسن لثروتهن أو زوة أزواجهن أي حساب فنشأ البنات في هذا الوسط ضعيفة مبذرة لا تمتطع أن تقوم بواجبها نحو منزلها ولا نحو أولادها وترى الثروة التي لديها قليلة حتى ولو كانت واسعة ، لأنها لا تمتطع لنفسها تديراً وبذلك ينتقل الآباء من خطأ إلى خطأ آخر . ذلك أن معالجة أمور الطفل من أدق المسائل واعتقدها

وهي اجندرها بالعبادة والاهتمام ولا يصح للإنسان ان يأخذ برأي من غير ان يقف الامر على جميع وجوهها وأن يبحث عن ذوي الرأي والتجربة للاسترشاد بهم في معاملتها . ومع ذلك فلا يضئ الإنسان ان التربية والوسط هما كل شيء فان للطبيعة نفسها ولميراث الطفل من الاجيال السعيدة التي تركت فيه اثرًا فعالاً في تكوينه فتجني بساعتنا انما تساعد الطبيعة او تعطلها ولكننا لا نستطيع ان نخلقها خلقاً جديداً . وما الاسرة الا صورة مصغرة للمجتمع الذي نعيش فيه فاذا وما لهذا المجتمع سلاحاً وجب ان نبدأ بالاسرة أولاً فاذا ما صالحت الاسرة عملت هي على اصلاح المجتمع

والآن وقد عرضت لاحد عوامل الضعف في تكوين الاسرة للفرد انتقل الى عامل من عوامل الضعف في تكوين الفرد في المدرسة

كلنا نسمع الشكوى المرة من حالة التعليم ونسمع الصرخة العالية ضد نشر التعليم في الازياف لانه يحول بين المتعلمين والفيط فتولد الذي يدخل المكتب او الكتاب يرفض بعد ذلك ان يتولى صلاً من اعمال الزراعة وكثيراً ما نقرأ في الجرائد عن العاطلين من حملة الشهادات وما يجب لهم من التذجيع ونقرأ الاقتراح تلوا الاقتراح عن وسائل تفريج تلك الازمة وما يجب على الحكومة اذائها . وبعد ان كان الناس يقدمون العلم وبرونه خطورة نحو الكمال في الانسانية اصبحوا الآن يشكون في قئدته وبرونه خطراً على المجتمع الانساني ، وما يجب ان نحتاط من تناوله الا بالقدر الضروري . وبعد ان كان الشك في فائدة العلم قاصراً على طبقة الجهلة من الناس اصبح حديث الجميع في ارق المجالس العلمية لسمع كثيراً من الناس يقولون بوجوب حصر التعليم حتى لا تزداد طبقة المتعلمين الذين لا يجدون وظائف في المجتمع فيقبلون خطراً عليه ويكونون اداة اضطراب في البلاد

واذا ناقشت هؤلاء القائلين اجابوك على الفور ، الا ترى كيف ان حملة الشهادات اصبحوا حالة على الامة ، الا تراهم في كل يوم يأتون اليك طالبين وظائف حكومية ، وكيف يكون الحال اذا نحن ظلمنا مستبرين في تلك السياسة . اليس الاجدر بنا ان نعترف بالامر الواقع ونواجه الحقائق كما هي ونترك الافكار النظرية لتكون صليين ونندراً خطر القوضى عن البلاد قبل استفحال الخطب فهل حقيقة ان الامور اقلبت رأساً على عقب الى هذا الحد ؟ وهل اصبح العلم الذي كنا نقاخر به وكنا نباهي بالحكمة الجارية « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » و « اطلبوا العلم ولو في الصين » أصبحت خرافة من الخرافات

لا يا سادة ! لم تنقلب الحقائق ولكننا رأينا حالة شاذة ورأينا اضطراباً في المجتمع كان مظهره حملة الشهادات ومتخرجي المدارس ودور العلم فربطنا ظاهرين احدهما بالآخر واختل بنا المنطق فاعتقدنا بأن الخطر ناشئ من العلم ونادينا بوجوب الحد منه بتقليل عدد طلابه ولكننا لم نحسن الحظ لم نؤمن بذلك المذهب كل الايمان فليس منا من يرضى بأن يعمل بتلك النظرية بالنسبة لاولاده واذا طبقت على احدهم كان اول سابع الى المطالبة بالاستثناء الملح في الدفاع عن وجوب فتح ابواب

التعليم لجميع الناس والآ اضطروا ان يرسلوا اولادهم الى أوروبا . فالحمد لله الذي جعل غربة
الدفع من انفس اقوى الغرائز فهي تنقلب على جميع النظريات وكثيراً ما تصل من طريقها الى
الحل الصحيح غير عابثة بما ينسجه المثقفون من النظريات وما ينادي به السفسطائيون من المبادئ
فلحق ايها السادة ان العلم لا يزال هو حر له من القداسة ما كان له في الماضي ولكن نظم
التعليم والمدرسة عندنا فيها من العيوب ما جعلنا نعلم تلك الازمة الشديدة التي نشكو منها
اليوم فضل كثير من الباحثين ونسبروا الى العلم ما هو راجع الى نظم التعليم والمدرسة . فليس يحتاج
الى دليل او برهان ان العلم زيادة في المعرفة واذازادت معرفة الانسان كان اقدر على مكافحة الحياة
وأكثر على استثمارها واستثمار خيراتها فذا ظهر لنا خطر من حالة من تسبهم متعلمين فانما يكون
ذلك لعيب في تعليمهم وضلال في طريقة تدريسهم فالتعليم الاول والابتدائي بل والثانوي لا يمنع
الولد من ممارسة اي عمل من الاعمال البدنية في أوروبا بل يزيده استعداداً للعمل ويفتح له مجالاً
من التقدم فيه اكثر من غيره . اما نحن فبمجرد ان يصل الولد الى الشهادة يعتبر نفسه كفتاً لتولي
وظيفة حكومية ولا يرضى بمزاولة عمل ابيه من تجارة او برادة او طهي او غير ذلك

فما السر في هذا ؟ لقد استعرضت امامي عوامل عديدة لتلك الحالة منها ان المتعلمين عندنا لا يزالون
قليبي العدد فمن تعلم منا يعتبر نفسه انتقل الى طبقة ارمستوقراطية تعطيه حقوقاً اكبر من حقوق زميله
الاوربي تقصر له رعايته ولكن كيف لم تستطع الازمة الشديدة التي مروا بها ان تخفف من غلواء هؤلاء
اناس بل كيف لا يغير تلك الحالة ما نراه عليه حملة الشهادات من الفقر والموزا الجواب على ذلك ان
هذا كان من شأنه ان يغير تلك الحالة تماماً لولا ان لدينا في تعليمنا عنصراً يبدو في ظاهره بسيطاً
ولكنه في الواقع عميق الاثر في تفكيرنا . ذلك العنصر هو اللباس الذي يرتديه الصبية
في المدارس . فلقد قضى النظام المنبع عندنا في المدارس الابتدائية ان ملابس الولد الملابس الافرنجية
فهو منذ صغره يلبس لباساً غالياً تمام المحاطة للباس والديه فيثبت في ذهن الولد ، بل وفي ذهن
والديه ، انه صار من طبقة غير طبقهم ، فهو من الحكام ، وأهل من المحكومين ، فلا يصح له
منذ تلك الساعة ان يعمل عملهم ولا ان يساعدهم في مهنتهم فهو ان يكون نجاراً ولا براداً ولا طاهياً
بل ولا يصح له ان يكون ناظر زراعة ولا بائناً ولا تاجراً ويجب ان يكون ائدياً في الدبران ؟ هذا
هو السر في تلك الازمة المريعة ، وفي ان المتعلمين من الاوربيين يقبلون تلك المهن ويباشرونها بانفسهم
وقد يتزوجون فيها الى ان يكونوا اصحاب ثروة وجاه عريض . اما نحن فلا نتولاها ولا تصل فيها الى
درجة ما ذلك انهم لا يأنسون العمل بها كان نوعه بل يحبونه ومحترمون ويباهون به . اما نحن فنراه
مرتبة اقل من مرتبة المتعلم

ولقد شعر بعض رجال التعليم بهذا الضرر في المدارس الابتدائية وتلافوا جانباً منه في الكنايب
ولكن تصرفهم ظل ناقصاً فلم يقض على ذلك الشعور في نفس الطفل فظل ولد الكتاب غالياً لا يوبه

وانت من المزرعة التي يعمل فيها والده فاري القدمين معرضاً للطين والتراب يلوث ملابسه وجسمه اما علاج تلك الخفاة فهو ان يكون المكتب صورة لحياة التوك المتزاية بحيث لا يخرج عن حالة الوسط الذي يؤهل للعمل فيه وبهذا العلاج تمنع الفوضى الفكرية التي تلازم الآن كل من دخل المكتب . اما في المدرسة فيجب ان يلبس الصبية لباساً بسيطاً متيناً . ومن الغريب ان مدارس البنات حتى ارقاها من المدارس المعربة والاوروبية هنا تتحو هذا النحو فتلبس البنات جميعهن سراويل من نوع واحد مصنوعة من قماش قليل الثمن . اما الاولاد فيلبسون اربطة الرقبة الحريرية والاقصة الغالية الدقيقة الصنع والاحذية الرشيقة القند . فاهذا لها المادة ! وكيف نتنظر لهذا الولد ان ينشأ رجلاً قوياً يشتغل بساعديه ولا يبالي بمجهود الرجال الجثماني

نشئوا الاولاد تلك النشأة وسترون منهم رجالاً يحبون العمل ويتفخون به ويفخرون بنجاحهم فيه فيكونون ملوك الصناعة والزراعة والتجارة كما هو الحال في اوروبا وامريكا . أما تلك المعيشة الناعمة فليست من شأن الرجال الناضجين

جربوا هذا وقدروا تأثيره الادبي والتفصي في الاطفال وذويهم ثم قدروا ما يدره من الخير على تلك الطبقة المتوسطة من الامة التي رزقت من الصفات الخلقية ومن حب العمل والاجهاد والمناورة ما تعبط له اشد الاحتياط بما يقلل من تكاليف اولادهم ما يجعلهم يستطيعون الاقتصاد في معيشتهم لان تربية اولادهم تصبح في متناول ايديهم فينشئونها نشأة سالحة تزول معها اسباب كثيرة من الخلاف الذي يترتب على كون الآباء غير قادرين على اجابة اطلع اولادهم في الملابس والمعيشة لان المناظرة فيها ستزول لارتداء الاولاد جميعاً رداءً واحداً

هذه ناحية من نواحي الضعف في المدرسة وهناك ناحية اخرى ترتبط بها اذا كنا نسمع الشكوى مألوفة من اصحاب الشهادات كذلك نسمع الشكوى جالفة من جانب الجامعة ورجال التعليم العالي من ان مستوى الثقافة في الشهادة الثانوية اقل مما يؤهل للدراسات العالية ولذلك طالب الكثيرون بقصر من يدخلون المدارس العالية على عدد محدد او نسبة مختصة من النجاح في الشهادة الثانوية ونحن من جهة اخرى نسمع صيحة داوية لآباء الشبان الخائزين للشهادة الثانوية الذين لم يقبلوا في المدارس العالية قائلين لنا ماذا نعمل بأبنائنا وقد وصلوا الى درجة من العلم هي باقراركم كافية لتدرجهم في التعليم العالي

وبين هذين الرأيين ترى زيادة المعارف تتذبذب في تطبيق المبادئ فهي تطورا مع الفريق الاول وطورا مع الفريق الثاني فاذا ما اتبعت الرأي الاول كثر عدد العاطلين واذا ما اتبعت الرأي الثاني انحط مستوى التعليم ونال الشهادات العالية من ليسوا اهلاً لتولي الاعمال التي يجب ان يؤهل لها ذلك النوع من التعليم . فاذا لم يجدوا عملاً صرخوا هم بدورهم صرخة طلاب الكالوريا الذين لم

يحدوا حجاز في المدرسة وبذلك تكون الازمة انتقلت من حازي الشهادة الثانوية الى طلاب الشهادات العالية او حازهم

ولو اناولجها الامور على حقيقتها لتكان علاجها ميسورة . ذلك اننا نرى ان المدارس العالية تشترط نسبة النجاح هي ٦٠ في المائة بينما يمر الطالب في الشهادة الثانوية اذا حاز الامتحان بنسبة اربعين في المائة واليون شاسع بين الدرجتين في التحصيل . ومن الواجب ان يكون الطالب في الشهادة الثانوية مؤهلاً حقيقة للدراسة العالية وان تكون مقدوته على التحصيل قريبة من الدرجة المطلوبة للدراسة العالية وبذلك يزول الابهام الموجود في النظام الحاضر ويرى الآباء والابناء ميزاناً صحيحاً يمكن ان يقيسوا به استعداد الابناء ويكون الحاصلون على الشهادة الثانوية قادرين على الاستمرار في الدراسة العالية ويحق لهم حينذاك ان يطالبوا وزارة المعارف بأن تعمل على ايجاد الامكنة الكافية لجميع المتعلمين الذين وصلوا الى درجة معينة لمتابعة دراستهم العالية . وسينتهي الخطر الحاضر لان العدد سيتنصر بمجرد تطبيق هذا النظام على من يكونون صالحين حقاً لتلقي التعليم العالي والذين تؤهلهم كفتهم للاحمال المنتجة بعد ذلك

وهذا الذي اريد في المدرسة العالية هو نفسه الذي يرشدني الى الحل الصحيح في بعض مشكلة الدراسة الثانوية فشهادة الكفاءة او شهادة الدراسة الثانوية قسم اول يجب ان يكون على درجتين احدهما بعد الدراسة الثانوية فاعالية وبالتالي تعد لمستوى الثقافة والتعليم النظري والعلمي العالي والآخرى تعد للمدارس الصناعية والزراعية والتجارية المتوسطة

أما الشهادة الابتدائية فلعلمي لست أدري ما هو الموضع لبقائها سوى تحميل الوزارة والمدرسين والمتعلمين عبثاً واضيعهم الوقت على غير جدوى لاجراء امتحاناتها

وهذا فضلاً عما هو ثابت في أذهان الناس جميعاً من أن الشهادة تؤهل صاحبها لصل وتعليم حقاً على الدولة والمجتمع فن حاز شهادة رأى لنفسه هذا الحق وترك في ذهنه المطالبة بمستوى معين من الوظائف والاعمال فما الداعي لاتباع تلك الحالة سوى مساعدة العوامل التي تتعاون على اشتداد المادمة وخلق طبقة غير القاعين في البلاد

لذلك نرى علاجاً لتلك الحالة ان تكون المرحلة الاولى هي شهادة الكفاءة

على أن يحمل الناجحون فيها فريقين : الفريق الممتاز الذي يكون برهن على استعداد لمتابعة الدراسة الثانوية فاعالية . والفريق الاقل استعداداً الذي يصلح لمتابعة دراسته في المدارس الصناعية والزراعية وغيرها واذا نحن جعلنا الوسط المعاشي في المدارس الابتدائية الى الكفاءة على ما قدمنا فان الاولاد لا يتفرون عند ذلك من مزاولة مهنتهم وأهليهم وبذلك تساعد على إيجاد طبقة نالت حظاً من التعليم تعمل بنشاط على رقي البلاد الصناعي والزراعي وتتلافى ازمة من اشد الازمات التي تهددنا في مستقبلنا ونفوس في نفوس الامة وشيئيتها ان العلم وحده عصب الحياة ومفخرتها

الترية ولغة الاطفال

لزي المهندس استاذ الترية بدار العلوم

قد يغفل الى كثير من الناس ان يتحدث الى الاطفال امر سهل المنال ولكنهم في الحقيقة واهمون ، فان قليلا منا هم الذين يرفقون الى استمالة الاطفال حين يتحدثون اليهم . ولقد يستطيع كثير من الناس أن يسوقوا المعاني الى قلوب الاطفال كرها ، ويدفعوها الى اذهانهم غصبا ولكن المربين — آباء او معلمين — لا يستطيعون ان يفرضوا بهذا النوع من الاساليب ،

لانهم يعلمون ان للاطفال لغة خاصة بهم ، واسلوبا يكاد يكون مقصورا عليهم ، وليس من السهل على كثير من الناس ان يعرفوا هذه اللغة او يحذقوا هذا الاسلوب

هذا هو السبب في ان كثيرا من الآباء

يعجزون عن افهام اطفالهم كل ما يريدون ، وهذا هو السبب كذلك في ان كثيرا من المعلمين يحققون في اصال الحقائق الى اذهان الاطفال وهم لا يشعرون

ومثل هذا يقال عن تلك الكتب التي توضع للاطفال . فقد رأينا المطابع المصرية في السنوات الاخيرة تفرج مئات الكتب ، التي يفرض مؤلفوها أنها تعين الاطفال على فهم دروسهم

باسلوب شائق ممتع ، ولكن نظرة واحدة في هذه الكتب خليقة ان تبين لك ان عددا كبيرا منها يقصر دون هذه الغاية ، لا غطيا في مادة الكتاب ، ولا لعيب في طبعه ، ولا لخطا في صوره ، بل لان المؤلف لم يرفق الى اختيار لغة تلائم الاطفال ، واسلوب يشوقهم ويستوهم والواقع ان المتحدث او الكتاب للاطفال فن لا يحذقه الا قليل من الناس ، وهو ككل

فن يقتضى علما واسعا ودرية مسترة . واذا كان استهواء الكبار بالحديث او الكتابة في معظم الاحيان عسرا شاقا فاستمالة الاحداث قد تكون أشق وأصعب لانها تتطلب دراية واسعة بطبائع الطفولة ووزانها واسلوب تصورها

[اخرج احد خطبة الله المؤلف المروف بالتعاون مع مطبعة عيسى الياي الحلبي مكتبة للتحقيق تحتوي على ٢٥ كتابا متباينة الحجم والشكل والموضوع . ويحمل احدها تسمية بعنوان « الطفل الحديث » ضم قصولا قيمة لطائفة من اعلام الترية في مصر ، نقلنا منها هذا الفصل لا اختوى عليه من المبادئ السليمة في تربية الاطفال]

كما تتطلب معاناة طويلة ونجارب واسعة ومرانا متواليا ، ومن اجل ذلك ترى ان هؤلاء الذين يعجزون عن التأثير في الاطفال في احاديثهم ومؤلفاتهم انما يخفقون لانهم لا يفهمون لغة الاطفال ، ولا يحذقون الاساليب التي تلائم تفوسهم وتستوى أنفستهم . ومن الخطا ان يعتمد المتحدث او المؤلف الى لغة الكبار فيختصرها وينقص من اطرافها ويغير من

ألفاظها وصارتها ثم ينقيها بعد ذلك إلى الألفاظ وأما بأنها أصبحت سائلة فلم قريبة المثال من مفادهم ، فقد علمت أن للأطفال لغتهم واسلوهم وأن الطفل ليس رجلاً صغيراً ولا الرجن طفلاً كبيراً ، فليس كل حاله وعقله واسلوبه ولغته ، فالتفاوت بينهما في النوع لا في الدرجة

ولقد أثبت العلم ودلت التجارب على أن لغة الطفل وثيقة الارتباط بحياته اعتلية وأما تنمو — كما ينمو عقله وجسمه — على التدريج ، خاضعة في هذا التوالقوانين النفسية ناشئة ، مثثة في عهدها مراحل التطور التي سلكتها لغة الانسانية من بدء الخليقة إلى الآن ولست هنا في مقام يسمح لنا ببيان تلك القوانين النفسية التي تسيطر على لغة الأطفال ولكن يكفي هنا أن نبين لك في إيجاز أظهر الصفات والخصائص التي تمتاز بها هذه اللغة وأهم القواعد التي يجب أن تراعى في أسلوب التحدث إليهم أو الكتابة لهم (١) **مميزات لغة الأطفال** تمتاز لغة الأطفال فيما بين الخامسة والعاشرة تقريباً بميزات أظهرها ما يلي :

(١) ضيق نطاق هذه اللغة ، فنطاق الأفعال اللغوي لا يكاد يتجاوز عشرات من الألفاظ العبارات ولكن الذي يسترعى الانتباه في هذا المحصول اللغوي ، هو الكثرة المطلقة للأسماء دون الأفعال والحروف والواقع أن أسماء الذوات تكون الشرط الأول من مادتهم اللغوية ، أما الأفعال فتتأقها محدود جداً لا تكاد تتجاوز تلك التي يستعملها الطفل في حاجته الطبيعية الأولية من مثل أكل وشرب ونام وجلس ، ولا تكاد تحرف التي يستعملها الأطفال تتجاوز من إلى عني ثم واو العطف (٢) يبدأ الطفل بعد ذلك ينشوق العمل والحديث في معرفة الأفعال ، وينهض من هذا المستوى الطبيعي إلى مستوى أرق ، فهو يلعب ويتعلم من طريق اللعب الانكسار والالتواء والضغط والرتب والمعض ، وما إلى ذلك من أنواع الحداث التي تعرض له في ألعابه ويدرك أثرها ، ومن ثم يأخذ في استعمال هذه الأفعال التي يزداد بها قاموسه اللغوي

(٣) يكون الأفعال مما يعرفه من الأسماء والأفعال جلاً يتحدثون بها إلى رفاقهم وآبائهم ، ولكن هذه الجمل في مجموعها قصيرة المدى مستقل بعضها عن بعض ، وجلها جمل اسمية لأن الأسماء وبخاصة أسماء الذوات تشوق الأطفال وتسهيهم . وما يلاحظ أن حديث الأطفال لا يكاد يجاوز المحسوسات فليس لأسماء المعاني مثل « واجب وفضيلة وصدق وأمانة » مكان في محصورهم اللغوي حتى أنهم لا يستطيعون أن يفهموا في الدور الأخير من طفولتهم هذه المعاني إلا بتجربتها من المعاني والياسها نمياً محسوساً بحس وليس ، فهم يفهمون من الفضيلة رجلاً فاضلاً ومن الصدق تلميذاً يقول الحق (٤) فلا أسماء المعاني ولا الألفاظ الكلية تشوق الأطفال وتسهيهم إلا في نحو السنة الثالثة

عشرة من أعمارهم ، حيث تكثر تمييزهم تجاربهم في المحسوسات على عمدة المواقفات والمقابلات ، واستزراع الصفات المشتركة وتجربتها من اثبات ولادراك الصلات والعلاقات بين الأشياء ، ويومئذ يزعجون إلى المعقولات والألفاظ الكلية وأسماء المعاني والحروف والادوات التي وضعت للتسني والترجي والاستدراك وما إليها . هذه صورة مكحلة لما تكون عليه لغة الأطفال ، أما القواعد التي يجب

مراعاتها عند التحدث إليهم أو الكتابة لهم فيمكن ادماجها فيما يلي :

(١) مراعاة ما قد سناه لك من الخصائص والصفات ، بحيث يكون كل اسم مقروناً بمعناه أو على الأقل بصورة تمثل مدلوله ، وأن يكون كل حدث أو فعل مسجولاً بتصوير معناه . هذا واجب في جميع أدوار الطفولة ، وهو في الدور الأول منها واجب . أنا الجمل فيجب أن تكون قصيرة لتعبر كل منها عن معنى مستقل بالفهم . فإذا كنت بصدد التعبير عن معنى طويل وجب أن تنقسم هذا المعنى الكلي إلى معان جزئية وتعبر عن كل معنى بمجموعة قصيرة في معناها محدودة في معناها

(٢) اختيار الالفاظ الشفافة التي تم على معانيها في وضوح وجلاء ، معتمداً في ذلك على المعاني الحقيقية الوضعية للألفاظ والعبارات ، فالطفل لا يستطيع أن يدرك المعاني والعبارات الملتوية المملوءة بالمجازات والاستعارات والكنايات أو ما إليها من المحنات اللغوية ، وقد يضطر المحدث أو المؤلف أحياناً إلى عقد تشبيهات لا يوضح المعاني ، ولكن شرط ذلك أن يكون المشبه به واضحاً جلياً في أذهان النشء ، وأن يكون وجه الشبه مما تستطيع عقولهم إدراكه

(٣) مراعاة الوضع القائم في الحديث أو الكتابة ، وفي هذا تتفاوت اقدار المعلمين والمؤلفين فكثير من هؤلاء لا يستطيعون أن ينزلوا إلى مستوى الطفل ويدرجوا معه في أخيلته وأحلوب تصويره فتجئ عباراتهم نائية عن ذوقه متنافرة مع طبعه ، ومن ثمَّ وجب أن تبسط في وضع الحقائق أو ألقائها تبسطاً تاماً ، بحيث تستطيع أن تجد سبيلها إلى ذهنه في غير عنق أو اكراه ، وقد يقتضي هذا بعض التكرار والاعادة للمعنى الواحد ، ولكن في أثواب مختلفة ، وصور شتى وقد يكون هذا واجباً إذا استعملت ألفاظاً أو عبارات لا عهد للأطفال بها

(٤) مراعاة التأثير والروعة في نقوس الأطفال ، وبخاصة إذا كان موضوع الحديث أو الكتابة قصصاً ، والمحدث أو المؤلف فنان ، وهو بهذه العفة يجب أن يعطي الفن حقه من التأثير في نفس السامع أو القارئ . والأكثر كانت عباراته مبنية لا حياة فيها ، وليس كل الناس يستطيعون أن يكونوا فنانين . ولكن هناك بعض أفراد وهبوا خصوبة في الخيال ولباقة في أسلوب الوضع ومرونة في التعبير ، بحيث يستطيعون أن يبلغوا من نقوس السامعين أو القارئ ما لم يطمح فيه العلماء والباحثون . وقد رأينا بيننا من مهرة المعلمين من يستطيع أن يجعل من أشد المعاني مجرداً صوراً محسوسة ملموسة إذا تحدث أو كتب

(٥) وغني عن القول أن يحدث الأطفال يجب أن يكون «متملاً» حاذقاً فصوته ونغمته ونبراته وتضعيف المعاني وحسن أدائه للعبارات ، كل هذا مضافاً إلى حسن نيته ، مما يؤثر في نقوس الأحداث تأثيراً كبيراً . هذا يجعل ما يجب على المحدث أو المؤلف مراعاته ، سرداته لك في إيجاز من غير أن تعرض للأصول النفسية العلمية التي يستند إليها . وحسبك منها أن ترى أن التحدث أو الكتابة للأطفال ليس من الهنات الهينات ، كما يحيل إلى كثير من الناس